بسم الله الرحمن الرحيم



إلقاء الأستاذ الدكتور:

أيمن بن سعود العنقري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل اجتماعنا في هذا المكان الطيب اجتماعًا مباركًا تحفُّنا فيه الملائكة وتغشانا فيه الرحمة وتتنزل علينا السكينة؛ فإن مجالس العلم أيها الإخوان أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الحديث الصحيح: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله جل وعلا ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله عز وجل فيمن عندهم**».

معاشر الإخوان؛ لا ريب ولا شك أن أعظم أمر من أجله أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب، ومن أجله تفرَّق الناس إلى مسلمٍ وكافر، هو توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة، وهو مقتضى كلمة "**شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**"، ولهذا فإنَّ الكافر إذا دُعي للإسلام، أول ما يجعله يدخل في دائرة الإسلام النطق بهذه الكلمة "لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله".

قال الإمام ابن المنذر: "أجمَعَ مَن نحفظ عنهم من أهل العلم: أن الكافر يدخل في الإسلام بهذه الكلمة، بكلمة لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله".

ولهذا لَمَّا بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذً إلى اليمن، ماذا قال له؟ قال له كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**إلى أن يوحِّدوا الله**».

فهذه الكلمة العظيمة هي التي يدخل بها الكافر إلى الإسلام، وهذه الكلمة مَن قالها عند احتضاره وقُبيل وفاته كان مآله إلى الجنة كما صحَّ بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: «**مَن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**».

هذه الكلمة العظيمة لا بد للمسلم أن يعرف معناها، وأن يعمل بمقتضاها؛ لأن هذه الكلمة لا تكفي وحدها لاستقرار المسلم على إسلامه، فلها ضوابط ولها شروط، ولهذا ذكر

أهل العلم رحمهم الله: أنَّ "لا إله إلا الله" لها شروط لا بد على المسلم أن يأتي بها، فالعلم المنافي الجهل، يعلم معناها.

❀ ما معنى هذه الكلمة التي طالما رددناها في صلواتنا؟

معناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله.

فهذه الكلمة مكونة من جزأين:

⇦ "لا إله" نفي.

⇦ "إلا الله" إثبات.

"لا إله" نفت جميع المعبودات التي عُبدت بالباطل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج:٦٢].

لو تأملنا في هذه الآية جيدًا لوجدناها تشتمل على النفي والإثبات في كلمة "لا إله إلا الله"؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ : "إلا الله"، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ "لا إله".

فهذه الكلمة العظيمة نفت جميع المعبودات التي عُبِدت من دون الله بالباطل؛ نفت عبادة المخلوقين من الملائكة، ومن الجن، ومن الصالحين، ومن الأولياء، ومن غيرهم، وأثبتت العبادة لله سبحانه وتعالى، ولهذا قال ربنا جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:٦٤].

⇦ **قال المفسرون**: الكلمة السواء في هذه الآية هي "لا إله إلا الله"، كما نقل ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره عن مجاهد، وعن غير واحد من أئمة التابعين.

﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٦٤]: إخلاص العبادة له سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: الشرك كما قال أهل العلم: صرف نوعٍ أو فضلٍ من أنواع العبادة لغير الله جل وعلا، كل أنواع العبادة تُصرف له سبحانه وتعالى؛ من الدعاء، والخوف، والرجاء، والمحبة، سواءٌ كانت هذه العبادة:

⇦ عبادات قلبية؛ مثل الخوف، لا يخاف المسلم إلا من الله سبحانه وتعالى؛ مثل المحبة، لا يُحب إلا ما يحبه الله جل وعلا؛ مثل الرجاء، لا يرجو إلا ما يرجوه الله سبحانه وتعالى.

⇦ والعبادات الظاهرة؛ مثل الدعاء، لا يدعو إلا الله سبحانه وتعالى، ولهذا ربنا جعل وعلا يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠].

وصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الحديث الصحيح: «**الدعاء هو العبادة**»، ولهذا كان أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام: إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ومحاربة الشِّرك.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في [مدارج السالكين] لَمَّا تكلَّم رحمه الله عن صور الشرك الأكبر، قال: "ومن أنواعه -يعني: الشرك الأكبر- طلب الاستغاثة من الموتى، وسؤالهم من دون الله"، ثم قال رحمه الله: "وهذا أصل شرك العالَم".

❀ ما المراده بقوله: "أصل شرك العالَم"؟

يعني: أنَّ هذا الأمر، وهو نفي الوسائط بين العبد وبين الله، أيًّا كانت هذه الوسائط كما كان عليه كفار العرب: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الزمر:٣]، وقال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨]، فالقرآن أتى لنفي الوسائط.

الإمام ابن القيم رحمه الله يقول: "دعاء الأموات والصالحين والاستغاثة بهم هو أصل شرك العالم".

❀ ما مراده بـ"أصل شرك العالم"؟

يعني: يجب على الداعي إلى الله سبحانه وتعالى أنْ تتوجه همته إلى هذا الأصل العظيم وهو (تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك بالله سبحانه وتعالى).

لا ينبغي للداعي إلى الله أن يتوجه إلى صغائر الأعمال وإلى غيرها قبل أن يُحقِّق التوحيد، قبل أن يدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى إفراده بالعبادة، **لماذا يا معاشر الإخوان؟** لأن في تحقيق التوحيد النجاة من الخلود من النار ودخول الجنة.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة:٧٢]، ولهذا نلاحظ أن الشرك انتشر في هذه الأمة انتشارًا كبيرًا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا.

✍ **ومن أسباب الشِّرك -كما قال العلماء-**: الغلو في الصالحين، رفع الصالحين عن منزلتهم التي أنزلهم الله إيَّاها.

والغلو في الصالحين -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- وقع في طائفتين: في الشيعة، وفي الصوفية؛ الرافضة عبدوا علي والحسين وفاطمة، واستغاثوا بهم، وجعلوهم وسائط بينهم وبين الله، فوقعوا في الشرك الأكبر، وكذلك الصوفية القبورية المنتشرون -مع الأسف- في العالم الإسلامي وقعوا في الغلو بالنبي صلى الله عليه وسلم كما قال أحدهم وهو البوصيري صاحب البُردة المشهورة، قال أبياتًا فيها غلو بالنبي صلى الله عليه وسلم:

يا أكرمَ الخلْقِ مالي مَن ألوذُ به

سواك عند حدوثِ الحادثِ العَمِم

نعوذ بالله من ذلك، يعني جعل ملاذه ورجوعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وربنا جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾[الأنفال:٩].

والنبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه في مسند الإمام أحمد بسندٍ صحيح، لَمَّا كان ابن عباس رديفه على الحمار، **ماذا قال له؟**

قال: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ» احفظ الله في حال الرخاء يحفظك في حال الشِّدة، ثم قال: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ» لا تتعلق بمخلوق أيًّا كان مَن هذا المخلوق، أبدًا، «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» ثم بيَّن له أهمية تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، قال: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ».

شوف، تمام التعلق بالله سبحانه وتعالى والإيمان بعقيدة القضاء والقدر، ولهذا كان من الأهمية بمكان بالمسلم أن يعرف شروط هذه الكلمة.

☜ **وانظر -كما قلنا-**: هذه الكلمة معناها "لا معبود بحقٍّ إلا الله" فهي نفي؛ نفت المعبودات الباطلة التي عُبِدت من دون الله، وأثبتت العبادة لله وحده دون ما سواه.

ومن الأدلة على ذلك: ما قال ربنا جل وعلا مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:٦٤].

ما هذه الكلمة السواء؟

قال المفسرون كما قال مجاهد وغيره من أئمة التابعين: الكلمة السواء: هي كلمة "لا إله إلا الله".

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**على ماذا؟** ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: تحقيق التوحيد وعبادة الله سبحانه وتعالى، فقط؟ لا؛ ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: لا نُصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى.

☜ **ومن العبادة التي لا يكون صرفها لغير الله:** الطاعة للتشريع، فنُفرد الله جل وعلا بالحُكم والتشريع، ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾ [يوسف:٤٠].

ولهذا من السذاجة بمكان: ما نسمعه الآن –مع الأسف الشديد– ما يسمى بـــ"التقريب بين الأديان" أو "الحوار بين الحضارات"، ومع الأسف يُراد بهذا الباطل؛ يُراد منه أننا نُميِّع عقيدة الولاء والبراء مع هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى.

لا تمييع ولا تقريب معهم، وحوارنا معهم هو بإزالة الشُّبهات التي تكون في أذهانهم عن الإسلام لكي يدخلوا في دين الإسلام؛ لأن الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه هو الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾[آل عمران:١٩].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥].

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

ولهذا لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، فمَن مات على غير دين الإسلام فقد حرَّم الله عليه الجنة؛ ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[المائدة:٧٢].

➲ **من مقتضيات كلمة "لا إله إلا الله":** عقيدة الولاء والبراء التي –مع الأسف– افتقدها بعضٌ من المسلمين.

النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أوثق عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللّهِ» أن تُحب ما يحبه الله سبحانه وتعالى، وتُبغِض ما يُبغضه الله سبحانه وتعالى، ومن أعظم ذلك: الكفر بالطاغوت؛ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٦٥].

❁ ما معنى الكفر بالطاغوت الذي هو من مقتضيات كلمة "لا إله إلا الله"؟

قال العلماء: معنى الكفر بالطاغوت: أن تترك عبادة غير الله جل وعلا وتُبغِضها بُغضًا قلبيًّا؛ في قلبك تُبغض هذه العبادة، تُبغض ما عليه النصارى من عقيدة التثليث، تُبغض ما عليه اليهود من ادعائهم أن عذير ابن الله ومن تنقُّصهم للرب بقولهم: إن يداه مغلولة، ومن قولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء -تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا-، تُبغض هذه العقائد الكفرية. أن تترك عبادة غير الله جل وعلا، وتُبغضها وتُعاديها وتُكفِّر أهلها.

لا بد أن تكفِّر هؤلاء الذين لا يَدينون دين الإسلام، مَن لم يُكفِّر اليهود والنصارى أو الكفار الأصليين لم يحصل له تحقُّق الكفر بالطاغوت يا معاشر الإخوان.

ولهذا من الخطورة بمكان ما نسمع الآن -مع الأسف- في بعض وسائل الإعلام ومن هؤلاء الجهلة مَن يقول: إن هؤلاء أصحا ديانة سماوية صحيحة.

حاشا وكلا، والله ليسوا بأصحاب ديانة، إنما حرَّفوا التوراة والإنجيل، حرَّفوها تحريفًا، وحكى الله عنهم ذلك في كتابه الكريم، إضافةً إلى أنَّ هذه الأديان منسوخة **بماذا؟** بدين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران:٨٥].

فمن مقتضيات كلمة التوحيد "لا إله إلا الله": الكفر بالطاغوت، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتُبغضها وتُعاديها وتُكفِّر أهلها وتُعاديهم.

الإسلام -يا معاشر الإخوان- دين يَعلو ولا يُعلى عليه، يجب على المسلم أن يعتز بدينه وبإسلامه وبإيمانه، وأن يرفع هذه العقيدة العظيمة وهي عقيدة الولاء والبراء التي جاء في القرآن

الكريم، لم تأتِ نصوص قرآنية بعد تقرير عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك مثل عقيدة الولاء والبراء؛ فالحُب في الله والكُره في الله.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ".

إذا (١٦:٢٥)، **كيف يتحقق الكفر بالطاغوت إلا بتحقيق عقيدة الولاء والبراء التي جاءت النصوص في عِظَمِها وبيانها؟!**

قال ابن عباس: "مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ"، ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئاً".

مع الأسف الشديد صار الولاء والبراء والمحبة والبُغض إمَّا للدنيا أو للمصالح الشخصية أو للحظوظ النفسية، ليتنا يا معاشر الإخوان حقَّقنا مقتضى هذه العقيدة وهي "عقيدة الولاء والبراء" (١٧:٢٠) المسلم في كتاب الله جل وعلا، وفي سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عقيدة التوحيد، وأن يُبغِض وأن يُعادي مَن خالف الكتاب والسُّنة وخالف عقيدة التوحيد سواءً كانوا من أديان (١٧:٣٧) محرَّفة؛ كاليهود والنصارى، أو من فِرقٍ ضالةٍ منحرفة؛ كالرافضة والصوفية وغيرهم، أو التغريبيين أو غيرهم من أصحاب النِّحل والمِلل الباطلة.

هذه الكلمة -يا معاشر الإخوان- لها نواقض، ولعلنا إن شاء الله في الكلمات القادمة في الأسابيع القادمة أن نأخذ من كل كلمة ناقضًا من نواقض هذه الكلمة العظيمة، كلمة "لا إله إلا الله".

وفي الكلمة القادمة في الأسبوع القادم لعلنا نتعرف على الشطر الثاني من هذه الشهادة وهي "**مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله**"؛ ما معنى "شهادة أن محمدًا رسول الله"؟ وما مقتضى هذه الكلمة العظيمة؟

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا من المطبقين لهذه الكلمة، وأن يجعلنا من المنتهين عما نهت عنه، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا "لا إله إلا الله، محمدًا رسول الله" كما صحَّ بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.